Republic of Iraq
Minstry Of Higher Education & Scientific Research
Al-Mustansirya University
College Of Basic Education
Jurnal Of Basic Education
Iraq - Baghdad

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية الأساسية
مجلة كلية التربية الأساسية
العراق - بغداد

No:
Date:

العدد : ١٨
التاريخ : ٢٠١٩/ ١ /٢٧

قبول بحث للنشر

السيد / أ. د. لمى عبد القادر خنياب ، م. م. حسن هادي عبد النبيّ

بعد التحية ...

تدارست هيأة التحرير البحث المقدّم من قبلكم والموسوم :

التناص القرآني دراسة نصية من خلال آيات الرد

وبعد الاطلاع على آراء المقوّمين فقد قررت في جلستها ذي الرقم ٧ المنعقدة بتاريخ ٢٠١٩/ ١ /٢٠

☑ قبول البحث للنشر وسينشر في الأعداد المقبلة من المجلة.

☐ إجراء التعديلات قبل إعادة النظر في قبوله.

☐ رفض البحث ونأمل ان تتمكنوا من نشره في مجلة أخرى.

الأستاذ الدكتور
كريم طلال الركابي
رئيس التحرير

البريد الالكتروني : educatjournal@yahoo.com
معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ٢٨٦
رقم الايداع لدى دار الكتب والوثائق ٦١٦ لسنة ١٩٩٤
رقم التصنيف المعياري الدولي ISSN 1851-7467

التّناص القرآني

دراسة نصّيّة من خلال آيات الردّ

أ. د. لمى عبد القادر خنياب م. م. حسن هادي عبد النبيّ

جامعة القادسية / كلية الآداب

الملخّص

اهتمّ النقاد وعلماء لغة النص على حدّ سواء بمصطلح التناص ، منطلقين في ذلك من فرضية مفادها هيمنة النصوص على بعضها ، فلا نص من دون تناص، وهذا يعني خضوع النص لسلطة نصوص أخرى ، فالتناص إنتاجية تتمّ عن طريق تفاعل نصوص لاحقة مع سابقة وتداخلها فيما بينها . هذه الإنتاجية دفعت بعض الدارسين إلى القول بضرورة التوجه في الدراسات اللسانية الحديثة إلى دراسة التناص بدلاً من النص .

والتناص في علم لغة النص معيار مهم من المعايير التي تتحكّم في نصية النص ؛ إذ يمكن من خلاله تفكيك النص بهدف معاينة علاقته بالنصوص التي تمثّلها واستوعبها ومن ثمّ عمل على امتصاصها وتحويلها لتصبح جزءاً من بنيته ودلالته .

والتناص في الخطاب القرآني نوعان : تناص ذاتي يتمثّل في تناص النصوص القرآنية مع نصوص دعوات التوحيد السابقة ، وتناص داخلي يتمثّل في التعالق النصّي بين نصوص القرآن نفسه ، فكثيراً ما يستدعي النص القرآني نصّاً ما أو آية من نصّ أو نصوص أخرى واقعة ضمن إطار السورة الواحدة ، أو ضمن إطار سورة أخرى .

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمّد النبي الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وبعد :

يعدّ معيار التناص (Intertextuality) واحداً من أهم المعايير التي تشكّل المفاهيم أو الأسس النظرية لعلم النص[١] ، ولا غنى لأيّ دراسة نصّية شاملة عنه، كونه مكوّناً من مكوّنات النص التي تتحكّم في نصيته، ومفهوماً من المفاهيم التي تطمح إلى ترسيخ المحاولات الحثيثة لإيجاد علم النص ، الذي يتّخذ من النص المادة الرئيسة له[٢] . وبذلك يمثّل التناص عنصراً قاراً في النصوص ، وظاهرة نصّية مهمّة لا يمكن إغفالها بأيّ حال من الأحوال[٣] .

إنّ التناص الذي يهدف إليه البحث ينبني على دراسة النصوص القرآنية التي تضمّنت ردوداً ، أي دراسة النصوص التي اشتملت على أطراف العملية التواصلية من متكلّم/ منتج ، ومتلقٍّ/ مستمع . إذ ينطلق المتكلم في بناء نصّه أو خطابه على وجود مخاطَب ما ، ويقوم هذا الأخير بإنشاء ردّه بناء على ما وُجّه إليه. ولأجل هذا ينبغي التعريف بمفهوم الردّ الذي نقصد إليه قبل بيان مفهوم التناص .

ـ في مفهوم الرد :

ثمة ارتباط بين الردّ والجواب في الكلام ؛ إذ يدلّ كلاهما على الإرجاع ، قال الجوهريّ (ت٣٩٣هـ) : ((ردّ عليه الشيءَ إذا لم يقبله، وكذلك إذا خطّأه. وتقول: ردَّه إلى منزله، وردَّ إليه جواباً: أي رجع))[٤]. وفيما يتعلّق بالكلام قال الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) : ((وردَّ عليه قوله. وردّ إليه جواباً ... وتردَّد في الجواب))[٥] .

وقال الزّبيديّ (ت١٢٠٥هـ) : ((ورادَّه الشيء، أي: ردّه عليه، ورادّه القولَ: راجعه ... واستردّه الشيءَ: طلبه وسأله ردَّه، أي أن يرُدَّه عليه ... وردّ إليه جواباً: رجَعَ، وارتدَّ الشيءَ : طلب ردَّه عليه))[٦] .

وجاء في المعجم الوسيط : ((وردّ عليه كذا: لم يقبله. وردّ عليه: أجابه. يقال: ردَّ عليهم السلام، وردّ إليه جوابه: رجَعَه)) [٧] .

إنّ ما تحمله هذه اللفظة من معانٍ لغوية من رفض وعدم قبول وتخطئة ، يتناسب كثيراً مع ما يصدر من ردود ترد على ألسنة متبادلي الخطاب في مواضع الدراسة ، ولاسيما في متبادلي الخطاب مع الأنبياء . وكذلك ردود إبليس على الله (ﷻ) ، ومثلها في ردود فرعون ... وغير ذلك .

ومفهوم الرد في علم النص نعني به بنية نصّية ترد على لسان شركاء التواصل أو التفاعل اللغوي . فالنصوص الحوارية مثلاً تُبنى على تفاعل أكثر من خطاب ، كل خطاب منها يمثّل نصاً قائماً بذاته ، والرد أو الجواب يمثّل وحدة تواصلية داخل تلك النصوص ، مما يعني أنّه يشكّل نصاً[٨] .

ـ في مفهوم التناص :

والتناص في اللغة مرتبط بمادة (نصص)[٩]، يُقال: ((نصّ المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض))[١٠]، و((تناصَّ القوم : ازدحموا))[١١] . وتمتدّ هذه المادة إلى عملية التراكم ، الذي لا يكون إلاّ بجعل الشيء بعضه فوق بعض[١٢] . والمعنى الأخير (ازدحموا) ، يقترب من التناص بصيغته الحديثة ، فتداخل النصوص قريب من ازدحامها في نص ما[١٣] .

وصيغة تناصَّ (تفاعلَ) من الصيغ التي تدلّ على المشاركة ، وتحدث بين اثنين على الأقل ، ومن ثمّ فالمصطلح يجمع بين النص الذي هو مادة التفاعل ، وبين التفاعل الذي هو طبيعة العلاقة بين النصوص[١٤] .

أمّا عن التناص مفهوماً ، فإنّ وجوده ارتبط بمصطلح (الحوارية) لدى (باختين) ، والحوارية تعني حوار النصوص وصيغ تعالقها[١٥] . أمّا وجوده مصطلحاً قارّاً في الدراسات الحديثة ، فإنّ تعاريفه قد تنوعّت واختلفت بحسب المنهجيات التي تناولته ، ولعلّ أوّل بروز له كمصطلح نقدي نجده عند (جوليا كريستيفيا) ، إذ اخترعته في كثير من محاولاتها المكتوبة بين عامي (١٩٦٦-١٩٧٦) ، التي ظهرت في مجلتي (Tel Quel) و(Critique) وفي كتابها (نص الرواية)[١٦] ، وقد أشارت إليه في أثناء تعريفها للنص بأنّه ((ترحالٌ للنصوص وتداخلٌ نصيّ ، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى))[١٧] ، وبعبارة أخرى : ((أن يتقاطعَ في النصّ مؤدّى مأخوذٌ من نصوص أخرى))[١٨] . أو هو ((تفاعل نصّي يحدث داخل نصّ واحد))[١٩] .

ورأي (كريستيفيا) هذا ينطوي على محاولة أولى لوضع تعريف لمفهوم التناص ، فالتناص عندها هو ((عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى))[٢٠] . وتأسيساً على هذا ترى (كريستيفيا) إمكان قراءة خطابات عديدة داخل النص ، مما يتيح صناعة النص عبر امتصاص النصوص الأخرى ، وهدمها في فضاء التداخل النصّي[٢١] . ولعلّ ما قدّمته (كريستيفيا) من فهم هنا ، متأتٍّ

من رؤيتها للنص على أنّه إنتاجية تتمّ عن طريق تفاعل نصوص سابقة ومتزامنة ، وتداخلها مع بعض ، فالنص عندها ((جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه ، فالنص إذن إنتاجية))[٢٢].

إنّ هذا الفهم يجعل من التناص خاصّية رئيسة في النص ، فـــ((النص باعتباره ملفوظاً شخصياً ، أي إنجازاً فردياً يعيد التركيبة اللغوية والمنظومة السيميائية ويوزّعها توزيعاً جديداً وفق حاجاته التعبيرية ورؤيته الجمالية. وعن طريق هذه العملية الازدواجية (توزيع/إعادة بناء) يُقدّم النص بعملية احتواء وامتصاص بعضَ العناصر النصية الغريبة عن جهازه اللغوي وإطاره المضموني وينسّق بينها . وقد تنتمي هذه العناصر إلى ثقافات متباينة وأجناس أدبية مختلفة))[٢٣] .

وبلحاظ ما قيل يكون النص خاضعاً لسلطة نصوص أخرى ، تتفاعل هذه النصوص بوصفها ممارسات دلالية تُسهم متضافرة في خلق نظام ترميزي جديد يحمل على عاتقه عبء إنتاج المعنى أو الدلالة في هذا النص[٢٤] .

وعلى ضوء إنتاجية (كريستيفيا) يرى (رولان بارت) أنّ التناص يكون ميزة في كلّ النصوص، بل هو قدر كلّ نص مهما كان جنسه، ولا يقتصر على قضية المنبع والتأثير ، بل هو مجال عام لكلّ الصيغ المجهولة ، التي يندر معرفة أصلها، وأنّ متصوّر التناص (القارئ)، هو الذي يمنح النص جانبه الاجتماعي ، ويتمّ ذلك على وفق طريقة متشعبة تمنح النص وضع الإنتاجية[٢٥] .

فـــ(بارت) بهذه النظرة لا يحيد عمّا أقّرته (كريستيفيا) في تأكيدها أنّ النصّ نظام يحيل على معنى وليس فعلاً اعتباطياً[٢٦] . ويواصل (بارت) ما انتهت إليه (كريستيفيا) حول النص ، إذ يرى أنّ النص ((نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة ... ، [من] دون أن يكون ذلك الفعل أصيلاً على الإطلاق))[٢٧]. وفي معرض حديثه عن التناص الذي أطلق عليه (النص المتداخل)، يقول : ((... وهذا هو النص المتداخل : استحالة الحياة خارج النص اللامتناهي))[٢٨] .

أمّا (جيرار جينيت) فيرى أنّ التناص ((علاقة حضور مشترك بين نصّين وعدد من النصوص بطريقة استحضارية ، وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر))[٢٩] . وجعل أكثر أشكال هذه العلاقة وضوحاً وحرفية هي الاقتباس مع الإحالة على مرجع محدد أو عدم الإحالة ، وأقلّ أشكالها وضوحاً وشرعية السرقة[٣٠] . على أنّه لم يستعمل مصطلح التناص بل أطلق عليه مصطلحات بديلة من مثل التعدية النصية، والاتساع النصي، والماورائية النصية، وما فوق النصية، والنظير النصي، والتعالي النصي[٣١] .

وتحوّل التناص عنده إلى نوع من أنواع التعالي النصّي ، و(التعالي النصّي) يعني ((كلّ ما يجعل نصّاً يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني))[٣٢] ، وبتعبير (جينيت) كلّ ما يجعل النصّ في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص[٣٣] .

وفي قبالة هذا، يطلق (سعيد يقطين) مصطلح (التفاعل النصي) بديلاً عن مصطلح (التناص)، وعمّا اطلقه (جينيت)، إذ يذهب إلى إيثار (التفاعل النصي) لأنّه أعمّ من التناص وأفضل من التعالي، وفي هذا الشأن يقول : ((نفضّل التفاعل النصّي بالأخص ، لأنّ التناص في تحديدنا – الذي ننطلق فيه من جينيت – ليس إلاّ واحداً من أنواع التفاعل النصي ... ، وعلى الرغم من أنّي أميل إلى المتعاليات النصية ، فإنّ معنى التعالي قد يوحي ببعض الدلالات التي لا نضمنها لمعنى (التفاعل النصي) ، الذي نراه أعمق في حمل المعنى

المراد والإيحاء به))[٣٤] . ولم يكتف (يقطين) بهذا ، بل أدخل ضمن (التفاعل النصّي) أنواعا ثلاثة ، هي : المناصّة: التي يريد بها التفاعل النصيّ الذي يأخذ بُعد المجاورة، فيحدث داخل النص . والتناصّ : الذي يأخذ بعد التضمين ، إذ تتضمن فيه بنية نصية ما عناصر بنيات نصية سابقة. والميتانصّية : التي تُعنى بعلاقة بنية نصية طارئة مع بنية نصية أصل. ثمّ جعل له ثلاثة أشكال، هي : التفاعل النصّي الذاتي ، والتفاعل النصّي الداخلي ، والتفاعل النصّي الخارجي[٣٥] .

أمّا التناص بحسب اصطلاح علماء النص ورؤيتهم فلا يبتعد عمّا قرّ من المفاهيم السابقة ، فهو عند (دي بوجراند) ((يتضمّن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به ، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة))[٣٦] . وجعله في موضع آخر من كتابه ((المبدأ الذي تنشأ به النصّية لأي نصّ بعينه من خلال تفاعل هذا النص والنصوص الأخرى))[٣٧] .

وقد ربط (دي بوجراند ودريسلر) التناص بعملية إنتاج النص واستقباله حينما أدرجا ((تحته الطرق التي يعتمد فيها إنتاج نصٍّ ما واستقباله على معرفة المشاركين بغيره من النصوص))[٣٨] .

والمعنى الأخير يُفهم منه أنّ التناص لا يرتبط بالنص وحده بقدر ما يرتبط بمشاركي التواصل والمعارف التي يملكونها ، بما يعني ((أنّ التناص لا يقع في النص نفسه ، وإنّما في عمليات التواصل الإجتماعي التي ينطلق منها ويعود إليها ، أي التي تقع في شروط إنتاجه ، كما تقع في شرط تلقيه))[٣٩] .

والتناص بحسب دي بوجراند معيار نفسي[٤٠] ، والعامل النفسي لا شكّ مرتبط بمستعملي النص على السواء ، أي المنتج والمتلقّي . وهو يأتي نتيجة لعوامل اجتماعية ولغوية ترتبط بالأوضاع الاجتماعية وأدوار المشاركين في الاتصال[٤١] . وقد جعله (سعد مصلوح) متّصلاً بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص[٤٢] . وأدخله (أحمد عفيفي) ((ضمن إطار ما يتّصل بالنصّ وسياقه مرتبطين معاً لا كما صُنّف من قبل))[٤٣] .

ويبدو أنّ ما أقرّه (دي بوجراند) من تصنيف للتناص عندما جعله نفسياً أقرب واقعاً ممّا صنّفه غيره ، ولعلّ ما يؤيّد هذا أنّ التصوّر التناصّي للنص يُحدّد من جهة المؤلّف تارة ، إذ ينشأ المعنى مرتبطاً بالمعرفة النصية ومعرفة العالم لدى المؤلّف . ومن جهة القارئ تارة أخرى ، فعملية القراءة التي تكون فعلاً منتجاً أيضاً ، يمكن أن ينشِئ معنى ، ومن ثمّ نصاً ، مع شرط تضمّن محتمل للمعرفة النصية ومعرفة العالم . وعن هذين المجالين ينتج التناص للتأثير بوجه عام في عملية الكتابة والقراءة[٤٤] .

والتناص يحدث بين ذاكرتين ، ذاكرة النص التي هي نقطة التقاء النص مع النصوص الأخرى عبر خبرة المؤلّف ، وذاكرة القارئ ، أي نقطة التقاء النص معه ، ذلك القارئ الذي يتّسع حقل التبادل بين النص والنصوص الأخرى من خلاله[٤٥] . فالتناص يبدأ عند القارئ أثناء عملية التلقّي، ومع أنّ النص هو التجسيد الحي للتناص، لكنّه لا يكتسب وجوده إلاّ مع وعي المتلقّي به، وإلاّ لن يكون له قيمة ومعنى داخل العمل[٤٦] .

وبلحاظ ما تقدّم يتبيّن أنّ علم لغة النص الحديث لم يستقل تماماً عن التيارات التي أنتجت تصور التناص ، ولا يُستبعد أنّ التناص قد أثر في علم لغة النص[٤٧]. وأنّ هذا التأثير قد أغرى بعض الدارسين إلى التوجّه نحو دراسة التناص بدلاً من دراسة النص ، على اعتبار أنّ التناص لا يُستعمل إلاّ للاستدلال على معرفة النص ، فيكون بذلك النص هو الموضوع المحدّد ، وأنّ التناص هو الموضوع المبني ، والمبني يتفوّق على المحدّد[٤٨] .

والنص في وجهة نظر (بلوم) لا وجود له إلاّ بينصوص ، وأنّ التناص هو الذي يضع الأسس لقيام النص ، ولعلّ القول بضرورة تحقّق التناص كان سبباً في استعمال كلمة نص[٤٩] .

إنّ هذه الدعوة مبنية على أساس أنّ النص منتجٌ مغلق ، وهو نسق نهائي يمكن تحليله في ضوء علاقات وحداته داخل نسقه الأصغر (النص) بعضها ببعض[٥٠] . والأمر على خلاف ما قيل هنا ، ذلك أنّ التناص سمة من سمات النصية التي جعلت منه ومن المعايير الأخرى أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها[٥١] . هكذا يبدو ((التّناص علاقة تفاعل بين نصوص سابقة ، ونصّ حاضر))[٥٢] . والتفاعل بين بنية النص (الماثل/الحاضر) والبنيات المتفاعل معها ، لا يكون مباشراً دائماً ، إنه إلى جانب ذلك يكون ضمنياً[٥٣] . كما يبدو التناص ((تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصّ ، حدث بكيفيات مختلفة))[٥٤] .

وتلك الكيفيات يمكن حصرها في نمطين رئيسين : ((أوّلهما : يقوم على العفوية وعدم القصد ؛ إذ يتم التسرّب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي ، أو يتمّ ارتداد النص الحاضر إلى الغائب ... ، أمّا الآخر : فهو يعتمد الوعي والقصد ، بمعنى أنّ الصياغة في الخطاب الحاضر تشير – على نحو من الأنحاء – إلى نصٍّ آخر ، بل وتكاد تحدّده تحديداً كاملاً يصل إلى درجة التنصيص))[٥٥] .

وبلحاظ ما ذُكر ، يمكن أن يُثار سؤال مفاده ، أيّ كيفية تحقّق التناص؟ هل يتحقّق من خلال المباشرة ، أي القصد إليه والوعي به ، أو من خلال التضمين ، أي من دون قصد ولا وعي ؟ .

وفي هذا الشأن ((يؤكّد أغلب الدارسين وجود الحالتين معاً في الظاهرة ، ولا تعنيهم في تحليلها النوايا التي تكمن وراءها بقدر ما تعنيهم تجلّياتها ، ويشيرون إلى أنّ ما يهم في الأمر هو التوالد النصّي أو التداخل أكثر ممّا يهم منبع هذا التوالد ، سواء أكان عن طريق الإرادة الواعية ، أو غير الواعية ، المباشرة أو غير المباشرة))[٥٦] .

وبناءً على ما تقدّم فإنّ التّناص يعني[٥٧] : توالد النص من نصوص أخرى ، وتداخله معها ، وأنّ النص خلاصة لما لا يحصى من النصوص ، وأنّه ينبثق عن نصوص أخرى ، ويعتمد عليها ، ويتعالق ، أي يدخل في علاقة مع نصوص أخرى ، فلا حدود بين نص وآخر .

وبهذا ((يصبح النصّ بمثابة بَصَلة ضخمة لا ينتهي تقشيرها . فالمعاني والدلالات فيه طبقات بحسب القرّاء ، والأزمنة ، والأمكنة))[٥٨]. ويكون ((التناص بمفهومه الدقيق لا يعني انتظام النصوص جنباً إلى جنب في محيط نصٍّ واحد ، وإنّما يعني تشابكها وتداخلها في علاقات حية تختلط فيها أمشاجها ، وتترابط وشائجها المختلفة ، والصيغة العربية المبنية على التفاعل (التناص) تدعم هذا المفهوم ، حيث يشير المصطلح إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص ، كما يتبيّن أنّ التناص في مفهومه العميق نوع من تأويل النصوص ، أو الفضاء الذي يتحرّك فيه القارئ والناقد ... وذلك بإرجاع النص إلى عناصره الأولى التي شكّلته))[٥٩] .

أهمية التناص في تحليل النص :

((إنّ البحث في الآليات التي تتحكّم في عمليتي الإنتاج والتلقّي جعل التناص محوراً لدراسة العلاقة بين النصوص ، لمحاولة فهم النص وتفسيره في ضوء اعتبار أنّ التناص سمة من سمات النصية ، وأنّه إحدى الطرق التي يترابط بها النص مع النصوص السابقة عليه))[٦٠] . فمن خلال التناص يمكن تفكيك النص بهدف معاينة علاقته بالنصوص التي حاول تمثّلها واستيعابها وتحويلها لتصبح جزءاً من بنيته وبنائه[٦١] .

والتناص يمثل المظهر الأهم في النص كونه ليس نتيجة وجود أو غياب نمط قواعدي أو معجمي بعينه في النص ، إنّه وظيفة إظهار النصية ، وهو نمط شامل يقارنه القارئ بمعيّرات عقلية موجودة سابقاً في تجربته ، ويعزوه للنصوص ، فاستعمال النصوص المتوازية هنا تكون بمثابة عوامل مرشدة تمكّن القارئ من إعادة رسم عناصر النصية بشكل واع[٦٢] . وليس هذا فحسب ، إذ تأتي أهميته ((من أنّه يمثّل عمليه إثراء وإغناء النصوص بعضها بعضاً بقيم دلالية وشكلية متعدّدة ومتنوّعة ، كما يمثّل تحرّراً وانعتاقاً للمبدع نفسه من قيود الثقافة الواحدة ، ومن قيد الزمان والمكان . إنّه معانقة أجواء أخرى أكثر رحابة وفساحة))[٦٣] .

وقد جعله (محمّد مفتاح) وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أيّ خطاب لغوي بدونه ، وضرورة لنجاح العملية التواصلية[٦٤] .

والتناص مكمل للدراسة النصية ، فهو جزء داخل فيها ومن غير الممكن دراستها من غير المرور به ، كونه يؤدّي إلى ربط النص بما يتحدّد به من نصوص لازمة له ، أو بما يطلبها منه اختياراً أو طواعية ، أو بكلّ ما يشكّل الظروف المعينة له[٦٥] . وتظهر أهمية التناص أيضاً ، في أنّه يُسهم في كشف العلاقات بين النصوص ، وأنّه يحقق ديمومة النص ، كما يكشف عن الدلالة الكامنة في النص الحاضر عبر معرفة مرجعيته ، ومن ثمّ معرفة الأصول المكونة له، ويُسهم أيضاً في بيان قدرة المبدع في امتصاص النصوص السابقة وخلق نص جديد من خلالها ، وقدرة المتلقّي على فكّ شفرات النص وبيان مرجعيته النصية[٦٦] .

التناص في الخطاب القرآني :

ثمّة خلاف حول وجود التناص في النص القرآني ، ولاسيّما فيما يتعلّق بالتناص الخارجي ، فمن المحدثين من دفع وقوعه في القرآن الكريم ، إذ قال : ((القول بالتعالق النصّي في القرآن ، أي أنّه نصٌّ مُشكّل من معتقدات وثقافات ، وأدبيات أُخر ، كالتوراة والإنجيل ، والشعر الجاهلي ، والسجع ، وليس نصاً مغلقاً ، أو محضاً لم يُشب بثقافة الآخر، ولا شكّ أنّ التأكيد على مقولة (البين نص) مدلفٌ مناسب إلى أنسنة النص القرآني ؛ إذ يُفرّغ من ربّانيته ويغدو نصاً لغوياً مشوباً بإحالات إيحائية ، وإرجاعات غير مؤتلفة لمبدعين آخرين))[٦٧] .

وذهب آخر إلى نفي صفة التناص في القرآن الكريم ، إذ قال : ((ولو سلّمنا بالتناص في بنية النص القرآني لأدّى ذلك إلى التسليم بوجود نصّ سابق على النص الكريم ، وهذا يتنافى مع خصوصية القدم))[٦٨] .

ومن القائلين بالتناص في القرآن (نصر حامد أبو زيد) ، إذ يرى أنّ النص الديني قد انخرط في علاقات سجالية مع النصوص الأخرى السابقة عليه والمعاصرة له ، وقد اعتمدت تلك العلاقات على آليات تناصية على درجة عالية من التعقيد ، كرفض الشعر والسحر والكهانة ، لكن هذا الرفض لم يمنع النص من توظيف آليات تعبيرية وأسلوبية تنتمي إلى تلك النصوص خاصة في مجال الإيقاع[٦٩] .

ويمضي قائلاً : ((وفيما يتعلّق بالنصوص الشفاهية يمكن القول: إنّ التناص معها اعتمد على آلية الاستيعاب وإعادة التوظيف من خلال سياق يعيد تأويلها تأويلاً ناطقاً بأيديولجية النص))[٧٠] .

وهو يرى أنّ النص القرآني منظومة من مجموعة نصوص لا يمكن فهمها إلاّ من خلال سياقه الخاص، أي بوصفه نصّاً، وهو في تركيبته تلك يتشابه مع النص الشعري، مثلما هو واضح في المعلّقات الجاهلية مثلاً، وفي تعدّد مستويات السياق المحدّدة لدلالة كلّ جزء من أجزائه، فالنصّ القرآني بتركيبته تلك ،

أي بهذا الشكل المكوّن من عديد من النصوص ، جاءت في جانب منها نتيجة للسياق الثقافي المنتج ، كونها تمثّل عنصر تشابه بينه وبين نصوص الثقافة عامة، والنص الشعري خاصة[٧١] .

إنّ رؤية أبي زيد للتناص القرآني متأتية من أنّه ((نصٌّ لغوي شأنه شأن غيره من النصوص اللغوية ، لا يمكن فهمه أو تحليله ، كما لا يمكن اكتشاف قوانينه الذاتية ، إلاّ من خلال اكتشاف تلك القوانين العامة ، قوانين إنتاج النصوص في لغة محدّدة ، وفي إطار ثقافة بعينها))[٧٢] .

ويذهب الدكتور (صبحي الفقي) إلى التأكيد على وجود التناص بنوعيه في القرآن الكريم ، وواضح أنّه اتّكأ على ما قرّره (أبو زيد) مسبقاً ، إذ قال : ((والقرآن الكريم – بوصفه نصاً – يتخلّله نمطان من التناص ؛ تناص داخلي ، وذلك بين عدد من السور مع بعضها البعض ؛ فليست السور القرآنية نصوصاً هكذا مرتبة بغير نسق أو مناسبة ؛ فقد تتكرّر آية بعينها في عدد من السور ، أو جزء من آية أو قصة ، أو فكرة ، أو فاصلة قرآنية. أمّا التناص الخارجي ، فإنّه يتّضح من خلال مناسبات النزول على سبيل المثال ، فالقرآن نزل مناقشاً لعدد من القضايا والمواقف، ومن ثمّ هناك تفاعل بين النص والواقعة المناسبة . وكذلك التفاعل بين القرآن والتوراة والإنجيل في عدد من الأفكار. بل التفاعل كذلك بين لغة القرآن ولغة العرب، فقد نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥] ، ومن ثمّ وجدت في أسلوب القرآن ظواهر كائنة في لغة العرب ، مثل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والاتّساع))[٧٣]. وقال في موضع آخر: ((والمتأمّل في النص القرآني يستنتج أنّ هذا النص قد تناص مع أحداث وقصص ووقائع؛ مثل قصص الأنبياء، بل من صور الواقع ...))[٧٤].

إنّ عدّ التناص الخارجي من قبيل التناسب بين النص والوقائع أو الأحداث سواء كانت سابقة عليه أم متزامنة معه سيوسع دائرة التناص ليكون سمة لكلّ قول ، ولاسيما أنّ لكلّ قول باعثاً من الواقع ، ثم إنّه بعيد كلّ البعد عن ماهية التناص التي تقتضي وجود نصين أو أكثر فيهما تعالق ، يكون الأول منهما نصاً ، والثاني متناصاً معه ، فالتناص تداخل بين نصيّن أو أكثر .

أشكال التناص :

يذهب (سعيد يقطين) إلى التمييز بين التناص على ثلاثة أشكال[٧٥] ، هي : التفاعل النصّي الذاتي ، وهو تفاعل نصوص الكاتب الواحد مع بعضها ، ويكون ذلك التناص لغوياً وأسلوبياً ونوعياً . والتفاعل النصّي الداخلي، ويكون حينما يدخل نص الكاتب في تفاعل مع نصوص كتّاب عصره . والتفاعل النصّي الخارجي ، حينما تتفاعل نصوص الكاتب مع نصوص غيره السابقة ، التي ظهرت في عصور بعيدة .

وفي تقسيم آخر ، يذهب (محمد مفتاح) إلى أنّ التناص نوعان، داخلي وخارجي، يكون الكاتب في كليهما معيداً لإنتاج ما سبقه ، سواء أكان الإنتاج لنفسه (داخلي) ، أم لغيره (خارجي)[٧٦] .

ويبدو أنّ حمل النص القرآني على هذه التقسيمات لأشكال التناص ، ولاسيما فيما يتعلّق بالتناص الخارجي، زيادة على القول بوقوع التناص الخارجي في النص القرآني، فيه نوع من الإجحاف إزاء النص القرآني ، ذلك أنّ النص القرآني ودعوات التوحيد السابقة كلّها تنتمي إلى ذات منتجة واحدة ، هي الذات المقدّسة ، وعلى مبدأ هذا التقسيم يتساوى الإنتاج المقدّس والإنتاج البشري ، الذي يعدُّ تناصاً خارجياً فيما لو ذُكر في القرآن الكريم ، ذلك أنّ الكتب المقدّسة ودعوات التوحيد السابقة لم يبقَ نصُّها الإلهي كما هو ، فهي

((وإن كانت في أصلها منزّلة من عند الله ، إلاّ أنّ واقعها يشهد بعدم سلامتها من التحريف والتبديل والتغيير))[٧٧] .

وقد أثبتت الدراسات النقدية في الغرب تعدّد مصادر العهد القديم والعهد الجديد ، وبعدهما عن نص الوحي لعدم تدوينهما في عصر نزولهما[٧٨] . وهذه الحقيقة أكّدها الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) بقوله : ((ومن أسباب وجود الخطأ والتضاد في العهد القديم ، تعدّد الكتّاب للرواية الواحدة ، والمراجعات المنجزة لبعض الأسفار على فترات من العهد السابق على الميلاد. أمّا بالنسبة للأناجيل التي لا يستطيع أحد أن يؤكّد أنّها تحوي دوماً الرواية الأمينة لكلمة المسيح، أو خبراً عن أفعاله مطابقاً للحقيقة ، فقد رأينا أنّ الكتابات المتتابعة لنصوصها تثبت نقصان الأصالة الأكيد فيها ، فضلاً عن أنّ كتّابها ليسوا شهود عيان))[٧٩] .

ومهما يكن، فلا يخلو القرآن الكريم من تداخلية نصّانية مع النصوص التي سبقته، لكنه تناص عقدي ولا يقدح بالنص القرآني، لأنّ القرآن الكريم ينقل عن متون الدعوات السابقة غير المحرّفة، فيكون التناص معها تصحيحاً لبعض المفاهيم المغلوطة التي شاعت في تلك الدعوات بمتونها الحالية، ونفياً للعقائد الفاسدة والمنحرفة التي تضمّنتها، وتثبيتاً للنص القرآني بتفنيد المزاعم التي حاولت النيل منه والحطّ من قدره .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يمكن لنا أن نوائم بين التقسيمات لأشكال التناص لنخرج بتقسيم لا نقول عنه إنّه مغاير لما سبق، ولكنه مشتقٌّ منه، فيكون التناص على نوعين : تناص ذاتي ، وتناص داخلي .

أولاً : التناص الذاتي :

وهو التناص الذي يكون بين نصوص تعود لذات منتجة واحدة ، ومنها نصوص التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، فالتوراة والإنجيل مجموعتان نصيّتان كبيرتان ، تتمتّعان بحضور كثيف في الخطاب القرآني ، فسورة الكهف تشكّل مثلاً ساطعاً على ظاهرة التداخلية النصّانية ، إذ تشتمل على قصص تحيل على المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم ، وهي جميعها متداخلة في سورة واحدة لتدعم نقل الشيء نفسه وتجسّده ، وهو الرسالة الإلهية الخالدة[٨٠] .

إنّ ((التناص بين القرآن وباقي الكتب التوحيدية ، لم يكن تجميعاً اعتباطياً من القرآن للنصوص السابقة، أو مجرّد نقل محايد لما قيل في السابق، بل هو عبارة عن فاعلية خاصة بالقرآن، يعيد بها إنتاج ما يقتبسه ويحيل إليه، ويضعه داخل سياق جديد وفضاء دلالي مختلف، ينزع عنه تاريخيته وقِدَمه الزمني، ويخلق فيه طاقة تأثير وفاعلية جديدة تخدم حدث الوحي الجديد في مسعاه لانتزاع الاعتراف وخلق حيزه الوجودي الخاص. وهو ما يجعل من التناص عملية اقتباس وتحويل وإعادة إنتاج ومزيجاً من الوصل والفصل ، أو الاستمرار والانقطاع))[٨١] .

وممّا يُحمل على التناص الذاتي في النص القرآني تناص المفردات والألفاظ ، التناص في الردود على مستوى القصص والأحداث ، ومنه التناص مع العهد الجديد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٣٨-٤١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم: ٤-١١] .

وقد تناص النصّ القرآني مع نصّ الإنجيل الذي ذكر قضية طلب زكريا (عليه السلام) الذرية وتبشيره بها ، وممّا جاء فيه : ((**ولم يكن لهما ولد لأنّ "أليصابات" كانت عاقراً ، وقد طعنا كلاهما في السنّ ، وبينما زكريا يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله في دور فرقته ، أُلقيت القرعةُ جرياً على سُنّة الكهنوت ، فأصابته ليدخلَ مقدِسَ الربّ ويحرق البخور ، وكامن جماعة الشعب كلُّها تصلّي في خارجه عند إحراق البخور . فتراءى له ملاكُ الربِّ قائماً عن يمين مذبح البخور ، فاضطرب زكريا حين رآه واستولى عليه الخوف ، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا ، فقد سُمِعَ دعاؤك ، وستلد لك امرأتك "أليصابات" ابناً فسمِّه "يوحنا" ، وستلقى فرحا وابتهاجاً ، ويفرح بمولده أُناس كثيرون . لأنّه سيكون عظيماً أمام الرب ، ولن يشرب خمراً ولا مسكراً ، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمّه ، فقال زكريا للملاك : بِمَ أعرف هذا وأنا شيخ كبير ، وامرأتي طاعنةٌ في السنّ ؟ ، فأجابه الملاك : أنا جبريل القائم لدى الله ، أُرسِلت إليك لأُكلّمك وأُبشّرك بهذه الأمور ، وستُصاب بالخَرَسِ ، فلا تستطيعُ الكلام إلى يوم يحدثُ ذلك ، لأنّك لم تؤمن بأقوالي وهي ستتِمُّ في أوانها ، وكان الشعب ينتظر زكريا متعجّباً من إبطائه في المقدِس ، فلمّا خرج لم يستطِع أن يكلّمهم ، فعرفوا أنّه رأى رؤيا في المقدِس ، وكان يخاطبهم بالإشارة وبقِيَ أخرس**))[٨٢] .

ويمكن رصد مواضع التناص في الردود بين النصّين، الحاضر والغائب، بحسب الآتي :

١. الردّ على زكريا :

- **أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا ...ٱلصَّٰلِحِينَ [آل عمران]**
- **يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا [مريم]**
- **فقد سُمِعَ دعاؤك ، وستلد لك امرأتك "أليصابات" ابناً فسمِّه "يوحنا" [الإنجيل]**

٢. ردّ زكريا :

- **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ [آل عمران]**
- **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا [مريم]**
- **بِمَ أعرف هذا وأنا شيخ كبير ، وامرأتي طاعنةٌ في السنّ ؟ [الإنجيل]**

٣. الردّ على زكريا :

- **قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ [آل عمران]**
- **قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا [مريم]**
- **أنا جبريل القائم لدى الله ، أُرسِلت إليك لأُكلّمك وأُبشّرك بهذه الأمور [الإنجيل]**

٤. ردّ زكريا :

- قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً [آل عمران]
- قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً [مريم]
- ..... [الإنجيل]

٥. الردّ على زكريا :

- قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ...وَٱلْإِبْكَٰرِ [آل عمران]
- قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ... وَعَشِيًّا [مريم]
- ..... [الإنجيل]

واضحٌ أنّ ثمّة تشابهاً أو تداخلاً من حيث النمط السردي ، وبناء الحدث ، والحوار بين نصوص القصتين ، مع اختلاف في أسلوب العرض ، وفي سرد بعض التفاصيل ، إذ لم يرد في النصيين القرآنيين ذكر لاسم زوجة زكريا (عليه السلام) ، ولا الألفاظ المتّصلة بالطقوس العبادية من مثل الكهنوت ، مقدس الرب ، مذبح البخور.

وقد مثّلت القصة القرآنية نصّاً حاضراً ، والقصة الكتابية نصاً غائباً ، واستدعت بنية النص القرآني النص الغائب ، وتفاعلت معه حتّى صار جزءاً منها . لكنّ هذا الاستدعاء لم يكن اقتباساً أو تكراراً مباشراً بين النصين ، بل نجد أنّ النص القرآني عندما وظّف النص السابق قد عمد إلى تفكيك النص الغائب وإعادة بنائه وتوزيعه في سياق تركيبي جديد ، وذلك عن طريق إخضاعه لمجموعة عمليات مثل : التمظهر والتحويل وإعادة الإنتاج[٨٣] ، ((من دون إلغاء أو إمحاء كامل لأوجه التماثل والتشابه في إيقاع القصة القرآنية الجديدة والقصة السابقة ، سواء كان ذلك في الإيقاع ، أو النمط السردي ، أو الشخصيات الموجودة فيها والأحداث التي تدور حولها))[٨٤] ، فمنحه بذلك حلّة جديدة وأضفى عليه دلالة لم تكن ظاهرة أو لم يكن من الممكن رؤيتها لولا التناص[٨٥] .

إنّ قارئ قصّة زكريا (عليه السلام) في الإنجيل ، لا يمكن له – على الرغم من طابع القصّة فيها – أن ينكرها ؛ إذ أكّدها القرآن الكريم غير مرّة ، على أنّ تأكيد القرآن لها ولبعض الحوادث في الدعوات السابقة لا يعني بالضرورة دقّتها وأصالتها ، بقدر ما يؤكّد جملة مما اشتملت عليه هذه الدعوات من أحداث .

ومن القصص القرآني قصّة تبشير مريم بعيسى (عليهما السلام) ، وذلك في قولهِ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥–٤٧] ، وقولهِ تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ١٧–٢١].

وهذه القصة من القصص الواردة في نصّ العهد الجديد ، وممّا جاء فيه : ((**وفي الشهر السادس ، أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينةٍ في الجليل اسمها الناصرة ، إلى عذراءَ مخطوبةٍ لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم . فدخل إليها فقال : افرحي أيّتُها الممتلئةُ نعمةً ، الربُّ معك . فداخلها لهذا الكلام اضطرابٌ شديد ، وسألت نفسها ما معنى هذا السلام؟ فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم ، فقد نلت حُظوة عند الله ، فستحملين وتلدين ابناً فسمّيهِ يسوع ، سيكون عظيماً ، وابنَ العليِّ يُدعى ، ويولّيه الربُّ الإلهُ عرشَ داود ، ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون لملكهِ نهاية. فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً ؟ فأجابها الملاك : إنّ الروح القدس سينزل عليك ، وقدرةَ العليِّ تُظلِّلُك ، لذلك يكون المولود قدّوساً وابنَ الله يُدعى . وها إنّ نسيبتَك أليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك التي كانت تُدعى عاقراً ، فما من شيء يُعجزُ الله . فقالت مريم : أنا أمةُ الربّ ، فليكن لي بحسب قولكَ . وانصرف الملاك من عندها**))[٨٦] .

وعلى مستوى النصين لا نعدم تماثلاً وتعالقاً لكن بدرجات متفاوتة ، يحيلنا هذا التماثل أو التعالق إلى تمظهر التناص بين النصّين ، وقد تمّ هذا التماثل على مستوى الحدث، فالحدث بين النصين الحاضر والغائب واحد ، وهو تبشير مريم بعيسى (عليهما السلام)، وعلى مستوى الحوار الذي دار بين مريم والملائكة ، وعلى مستوى الموقف ، أي موقف مريم عليها السلام من هذا التبشير ، الذي قابلته في النص الحاضر بقولها : (**رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**) ، (**أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**) ، وفي النص الغائب : (**كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً ؟**) .

ويبدو أنّ النصّ القرآني قد تعالق مع النص السابق ، إذ ركّز على مفردات سابقة في النص نظراً لموقعيتها ، واستدعى منه العناصر الرئيسة التي شكّلت بؤرة الحدث ، ممّا يعتدّ به كمجال فعلي للتناص ، ورفض ما سواها ، ففي النص السابق نجد أنّ ثمّة تفصيلاتٍ لم ترد في بنية النص القرآني ، منها : اسم المَلك ، ومكان إرساله ، وخطبة مريم من يوسف بن داود ، وأنّ الوليد سيُدعى ابن العليّ وابن الله ، وذكر نسيبتها ، وتسليم مريم بأنّها ستُدعى أمة الرب . فكان النص الحاضر نفياً جزئياً لما في النص المرجعي بحسب تعبير كريستيفيا[٨٧] .

إنّ هذا التعالقّ بين النصّين يؤدّي لا شك ، إلى علاقة اتّصال وانفصال ، وهدم وبناء في الوقت نفسه ، وامتصاص وتحويل[٨٨] . إذ تمّ الاتّصال والبناء على المستوى الذي شكّل مجالاً للتفاعل بين النصين ، وفيما عدا ذلك انفصل النص الحاضر عن السابق ، فكان هدماً لكلّ ما يشكّل خللاً في منظومة العقيدة الإسلامية .

ولعلّ ما يؤيّد هذا ما ذكره (ابن عاشور) في الموضوعات التي تعالجها سورة (آل عمران) ، إذ قال : ((واشتملت هذه السورة من الأغراض :على الابتداء بالتنويه بالقرآن ، ... ، والتنويه بالتوراة والإنجيل ، والإيماء إلى أنّهما أنزلا قبل القرآن ، تمهيداً لهذا الدين فلا يحقّ للناس أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلاهية الله تعالى، وانفراده ، وإبطال ضلالة الذين اتّخذوا آلهة من دون الله ، مَن جعلوا له شركاء ، أو اتّخذوا له أبناء ، ... وإبطال إلاهية عيسى))[٨٩] . وفي موضوعات سورة مريم في أنّها ((نزلت للردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها))[٩٠] .

وهكذا نجد على مستوى فضاء النص الحاضر أنّ ثمّة ملفوظات قد تقاطعت أو تنافت مع النص السابق، فعملت بذلك على إحلال مفاهيم ، وإزاحة غيرها من المفاهيم التي كانت تشكّل عقيدة راسخة قد انطوى عليها النص الغائب .

وممّا تقدّم يمكن القول: إنّ مثل هذه الاستدعاءات تدل على أنّ نصّ القرآن الكريم ينتمي إلى فضاء نصّي يشمل نصوص الدعوات السابقة، ويحرص على الإحالة عليها ، ما يدلّ على ضرورة استحضار النصوص الدينية التي كانت حاضرة ومتداولة زمن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ولاسيما نصوص التوراة والإنجيل ، لتشكّل مدخلاً للتعرّف إلى عملية تشكيل النص القرآني نفسه ، والأثر الذي تركته على مضامينه ورؤاه[٩١] .

ثانياً : التناص الداخلي :

والتناص الداخلي هو تداخل نصوص الكاتب فيما بينها ضمن الأثر الواحد ، وهذا النوع من التناص قد يقع داخل بنية نصية واحدة ، وقد يتجاوزها فيجمع بين أكثر من نص .

والنص القرآني يشتمل على ظاهرة التناص الداخلي ، أي التعالق النصّي بين نصوص القرآن نفسه ، فكثيراً ما يستدعي النص القرآني نصّاً ما أو آية من نصّ أو نصوص أخرى واقعة ضمن إطار السورة الواحدة ، أو ضمن إطار سورة أخرى .

إنّ التناص القرآني سمة أساس في النص القرآني، فـ((هو تعبيرٌ حديث عن قول قديم جليل يتجلّى في أنّ القرآن الكريم يُفسّر بعضه بعضاً ، وتوضيحه أنّ ما أُجمل في مكان فإنّه قد فُسّر في موضع آخر ، وما اختُصر في مكان فإنّه قد بُسط في موضع آخر ؛ لأنّ القرآن كتاب متشابه المعاني والأهداف))[٩٢] .

وهذا الأمر يؤكّده الدكتور (تمّام حسّان) بقوله : ((التناص : وهو علاقة تقوم بين أجزاء النص، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب ، وعلاقة التلخيص بالنص الملخّص، وعلاقة المسودّة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضّحه، وعلاقة المحتمل بما يحدّد معناه. وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصود بعبارة "القرآن يفسّر بعضه بعضاً"))[٩٣] . ويقول في موضع آخر : ((نؤكّد ثقتنا في أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً ، وأنّ ما كشف عنه البحث اللغوي الحديث من مفهوم التناص يؤيّد صدق تفسير القرآن بالقرآن))[٩٤] .

فالنظرة إلى التناص القرآني الداخلي ممتدّة من ((أنّ القرآن ليس كتاباً مبوباً ومفصلاً ... بل إنّ الغالب على موضوعاته جميعها التداخلُ بحيث يشرح بعضه بعضاً، ويؤكّد بعضه بعضاً . ومن أبرز آليات هذا التداخل ... التفصيل والإجمال ، العموم والخصوص ، والمحكم والمتشابه ، أو الناسخ والمنسوخ))[٩٥] .

وهذا النوع من التناص يرى فيه (أحمد عفيفي) أنّه هو الذي يخدم نحو النص؛ كونه يحمل خصوصية التطبيق ، فبدلاً من أن تكون هذه المفاهيم المطروحة بين نص حاضر ونصوص غائبة ، فإنّ التناص المقصود هنا ينصبّ على النص الواحد من دون نصوص أخرى[٩٦] . وبذلك يكون التناص بحسب هذا الفهم ((وسيلة ربط بين أجزاء النص الواحد وبياناً للمعاني المتعالقة))[٩٧] .

ويبدو أنّ النظرة إلى التناص على أنّه معالجةٌ للعلاقات التي تقوم بين أجزاء النص الواحد ، وقصرُه على بيان معانيها ، تنأى به عن وظيفته التي أوكلت إليه في دراسة النص وهي التداخل في النصوص ، أو ارتباط بعضها ببعض . فالعلاقات بين النصوص من مثل الإجمال والتفصيل ، والعموم والخصوص ،

والمحكم والمتشابه ، والسؤال الجواب ، وغير ذلك ، هي شرطٌ من شروط الانسجام ، ومبدأٌ من مبادئه وعملياته ، وإدخالها تحت معيار التناص سيؤدي حتماً إلى التداخل أو الخلط بينه وبين معيار الانسجام ، وبذلك تكون دراسة هذه العلاقات أقرب إلى معيار الانسجام منه إلى التناص .

فالتناص الداخلي ((ارتباط الأجزاء المختلفة للنص بعضها بالبعض الآخر))[٩٨]. ويتمّ عن طريق التكرار ، أي تكرار عنصر ما كما هو أو باختلاف بسيط ، أو عن طريق التوالد ، أو الدوال المولّدة ، أي أن يظهر دالٌّ في موضع ما من النص ، ويتولّد عنه مجموعة من الدوال الأخر تتناثر في النصوص[٩٩] .

ومن التناص الداخلي في القرآن الحوار الذي دار بين الله (ﷻ) وإبليس وما يشتمل عليه من خطاب الردّ في قوله تعالى : ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣﴾ [الحجر: ٣٢-٤٣] .

إنّ هذا الحوار واقع ضمن إطار سورة الحِجر ، وهذه السورة لها مجموعة مقاصد، منها الإنذار، أي إنذار المشركين بالندم والهلاك، وتوبيخهم، وقصة كفر الشيطان، وغير ذلك[١٠٠] ، كما أنّها تعالج موضوعات عدّة ، من ضمنها موضوع العقيدة، عن طريق التصدّي للمنحرفين المعادين لرسالة الإسلام ومواجهتهم[١٠١] .

إنّ موضوع هذا الحوار عند بنائه استدعى نصّاً يعالج الموضوع نفسه ، وهذا النص جزئية واقعة ضمن إطار سورة أخرى ، هي سورة الأعراف ، فتناصّ معه ، وهذا النص هو قوله تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: ١٢-١٨] .

والاستدعاء حاصل مع تغيير في الألفاظ من دون تغيّر المعنى ، وهو متجاوز لبنية نطاق السورة الواحدة إلى غيرها من السور، وفي هذا دليل على أنّ النص القرآني الكريم يشكّل بنية كلّية واحدة .

ولا شكّ من بعد هذا أنّ موضوع الحوار في الحجر مرتبط بموضوع الحوار الذي في الأعراف ارتباطاً وثيقاً ، وما يؤكّد هذا أنّ جوّ سورة الحجر يذكّر بجو سورة الأعراف، فابتداؤها كان بالإنذار، وكلّ سياقها جاء مصداقاً للإنذار ، فهنا كذلك في سورة الحجر ، يتشابه البدء والسياق[١٠٢] .

والذي يلاحظ أنّ نص (الحجر) بحسب قوانين التناص[١٠٣]، قد عمل على امتصاص نص (الأعراف) لأهمّيته كاستمرار متجدّد ، لكنّه امتصاص تحويلي يعمل على دمج النص السابق في النص المتشكّل[١٠٤] ، وأنّ ترابطه مع النص الأصل كان متوازياً ، ممّا يعني أنّ العلاقة التفاعلية أو التناصية بين النصّين هي علاقة مقارنة بين ذات نصية مكتملة ، وذات نصية أخرى في اكتمالها أيضاً[١٠٥] ، وهذا التوازي يتمثّل بـــ :

نص الأعراف :

- مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ
- أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
- قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ
- قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ .. قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ
- قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ .. ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ

نص الحِجر :

- مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ
- لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
- قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ
- قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ .. قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ
- قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ

حيث ظلّ المعنى المنطقي للنصيين هو هو، أي نفسه[١٠٦] ، ومما يعين على هذا التوازي أنّه تناص مع المكوّنات الرئيسة المؤسسة لهوية نصّ مركزي يحمل دلالة الموضوع نفسه ، وبذلك اكتسب النصّ تمظهره ومقروئيته من خلال النص السابق الذي يتفاعل معه في الفضاء نفسه[١٠٧] . كما أنّه بتناصّه مع النص السابق لم ينفِه نفياً كلياً أو جزئياً، بل اندمج معه كلّ الاندماج، ممّا أسهم في استمراره . وممّا يمكن ملاحظته أيضاً ، أنّ في النصّ الأصل مجموعة دوال تولّدت عنها دوال أخرى في النص المتناص ، من ذلك مثلاً دوال (الطين) ، و(لأقعدن لهم صراطك المستقيم) في الأعراف ، تولّد عنها في الحجر دوال (صلصال من حمأ مسنون) ، و(لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) .

إنّ تولّد النص عن نص آخر ، أو التداخل النصّي بين النصين لا يعني تحاشي النص المتناص أو نفيه، إذ هو ليس مجرّد تجميع أو استدعاء من النص السابق عليه، وإنّما له أثره وتأثيره في توجّهات القراءة ، ما يعني أنّه إفراز في تعدّد القراءات ما يتجاوز القراءة الواحدة[١٠٨] .

ومن التناص الداخلي في الخطاب القرآني التناص القصصي ، وهذا التناص يعمل على تحقيق الترابط النصي بين الوحدات النصية[١٠٩] . ومن التناصّ بالردود في القصة ما جاء في قصة نوح (عليه السلام) ، في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف : ٥٩-٦٤] .

وفي قولهِ تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ✸ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥-١١٨] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٢٥-٣٤] . وقولهِ تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٦] .

إنّ في القرآن الكريم أموراً كلّية وأحداثاً مهمة رئيسة ، لا يجوز أن تخلو منها سورة من السور ، فإذا ذُكرت القصة في سور كثيرة ، فإنّ الأحداث تتوزّع عليها ، بحيث تجد حدثاً في سورة لا تجده في غيرها ، إذ يُذكر في كلّ سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها[١١٠] . و((كلّ قصة ترد في السورة لا بد أن ترتبط فكرياً بموضوعات السورة سواء أكان هذا الموضوع مطروحاً بشكل رئيس أو ثانوي ، ويترتّب على ذلك أن تكون القصص مصوغة في كلّ سورة بنحو خاص يختلف عن صياغتها في السورة الأخرى))[١١١] .

إنّ تناثر أحداث القصة في أكثر من سورة دليل على ارتباط النصوص بعضها ببعض ، ولا شكّ أنّ هذه النصوص تحمل مفاهيم مركزية تستدعي ما يتعالق بها ويتفاعل معها كلّما دعت الحاجة إلى ذكرها ، وبناء على ذلك فإنّ ذكر قصة نوح في سورة ما يستدعي كلّ ما له شأن بهذه القصة وأحداثها في السور الأخرى ، ولاسيما إذا كانت القصة واقعة في إطار سورة تعالج موضوعاً هو الموضوع نفسه في تلك السور. وهذا هو مبدأ التناص الداخلي ، ارتباط الأجزاء بعضها ببعض .

فقصة نوح (عليه السلام) في نصوص (الشعراء ، هود ، المؤمنون) تناصّت وتعالقت مع القصة ذاتها في نص سورة (الأعراف) ، الذي مثّل حضوراً فعلياً ومكثّفاً فيها ، فكانت بذلك استيعاباً له ، وتحاوراً معه ؛ إذ تمثّلت ببنياته النصية وتفاعلت معها ، حتّى اصبحت كلماتها تنتمي إليه . وصارت بذلك نصوصاً تتعايش بطريقة ما

مع النص السابق وتتجذّر منه[١١٢] ، ولها علاقات به كنصّ محدّد يُعدّ بمثابة مخطّط لها[١١٣] . وهو تناص متوازٍ استدعى النص الأصل مع المحافظة على معناه المنطقي، فضلاً عن بنياته الشكلية ؛ إذ لا مضمون خارج الشكل[١١٤] . فهو تناص أسلوبي أحال على تشكيل موازٍ له في نص آخر ولازم بنيته الدلالية[١١٥] .

إنّ النصوص جميعها منتظمة على بؤر من الدلالة تنطلق كلّها من النص الأول (الأعراف) وتؤكّد انتماءها إليه ، وهذا يعني توالد هذه النصوص عن النص الأوّل ، وانبثاقها عنه، والدخول معه في علاقة . لذا نجد أنّ كلّ ما عالجته هذه النصوص من موضوعات وانبنت عليه، هو في الحقيقة ماثل في النص الأول، وصادر عنه ، من ذلك موضوع الردود على النبيّ نوح (عليه السلام) في النص الأوّل ، وقضية تكذيبه من قبل قومه ووصفه بالضلالة ، وموضوع النصح والتبليغ والإنذار ، والتذكير بالآخرة ، كلّ ذلك انسحب على النصوص الأخرى (الشعراء ، هود ، المؤمنون) . فكلّ ما عالجته هذه النصوص من مفاهيم استدعى الرجوع إلى النص الأول وتوظيفه فيها ، فكأنّه كان بذلك بنية عليا ، أو نصاً مركزياً يجتاز القصة من بدايتها إلى نهايتها ، ويجعل أجزاءها مترابطة فيما بينها ، ومن ثم يجعل منها نصوصاً متداخلة مدمجة ، ومتّصلة لا منفصلة ، تتفاعل فيما بينها ، وتتحرّك ضمن إطار الموضوع العام أو الكلّي الذي يجمع فيما بينها .

إنّ النظر في ردود القوم على النبيّ نوح (عليه السلام) بحسب نزول السور يكشف عن امتصاص النص اللاحق للنص السابق والزيادة عليه، فالنص في (الأعراف، والشعراء) كان مجملاً جرى تفصيله في (هود ، والمؤمنون) . ويأتي تفصيل ما أُجمل فيهما وهو (الضلال والتكذيب ، اتّبعك الأرذلون) على الآتي :

هود :

١. إنّك بشر مثلنا
٢. اتّبعك الأراذل منا
٣. ما لكم علينا من فضل
٤. التكذيب

المؤمنون :

وفيها يتحوّل الخطاب من نوح إلى قومه ، أي أنّ قومه في ردهّم يلتفتون إلى بعضهم لا إلى نوح نفسه، فتتكرّر الحجج ذاتها في (هود) مع زيادة عليها :

١. هذا بشر مثلكم
٢. يريد أن يتفضّل عليكم
٣. لو شاء الله لأنزل ملائكة
٤. التكذيب بعدم السماع عن آبائهم الأولين
٥. اتّهامه بالجنون
٦. التربّص به

وبذلك أصبحت هذه النصوص وقائع تناصية تحيل على النص أو المعطى الآخر؛ إذ هي بمثابة استحضار، أو احتياز له أو لأجزاء منه ، كونها انطلقت من معناه ومن عبارته، ثمّ نسجت على منواله[١١٦] .

وممّا تقدّم يتّضح جلياً ، أنّ التناص ظاهرة لغوية ، وهو من خصيصة اللغة ، إذ يعمل على بناء النصوص من خلال تفاعلها شكلياً ودلالياً مع النصوص التي تتناص معها وتستوعبها ، كما يعمل على ربط

أجزاء النص الواحد بعضها ببعض ، أو ربط أكثر من نص ، فيمنحها بذلك سمة الانفتاح على بعضها ، معلناً رفضه لأي إغلاق للنصوص ، وهذا ممّا لا شكّ فيه يحقق ديمومتها ، كما يكشف عن الدلالة الكامنة فيها عبر معرفة مرجعياتها ، ومن ثمّ معرفة أصولها المكوّنة لها . والتناص وسيلة تُسهم في تمكين المنتج من التعامل مع النصوص السابقة ، وتبيّن قدرته على تمثيلها واستيعابها في خلق نص جديد، ووسيلة تعين القارئ على قراءة النصوص وتحليلها ، من خلال فكّ شفراتها ، وبيان مرجعياتها . كلّ هذا وغيره ، يجعل من التناص معياراً مهماً من المعايير التي تعمل مجتمعة على إيجاد صفة النصية في النصوص الإبداعية، وبيان كفاءتها.

الخاتمة :

أظهر البحث أنّ عدَّ التناص معياراً نفسياً مرتبطاً بمستعملي النص (المنتج والمتلقّي) ، أقرب واقعاً من تصنيفه ضمن ما يتّصل بالنصّ وسياقه المادي والثقافي، يؤيّد هذا أنّ التصوّر التناصّي يُحدّد من جهة المؤلّف تارة ، ومن جهة القارئ تارة أخرى ، فعنهما ينتج التناص للتأثير بوجه عام في عملية الكتابة والقراءة .

وأظهر عدم استقلال علم لغة النص عن التيارات التي أنتجت تصور التناص ، ولا يُستبعد أنّ التناص قد أثّر في علم النص ، حتى دفع هذا التأثير بعض الدارسين إلى التوجّه نحو التناص بدلاً من النص ، على اعتبار أنّ التناص لا يُستعمل إلاّ للاستدلال على معرفة النص ، وأنّه هو الذي يضع الأسس لقيام النص ، ولعلّ القول بضرورة تحقّق التناص كان سبباً في استعمال كلمة نص .

وأنّ التناص يُسهم في كشف العلاقات بين النصوص ، ويحقق ديمومة النص ، ويكشف عن الدلالة الكامنة في النص الحاضر عبر معرفة مرجعيته ، ومن ثمّ معرفة الأصول المكونة له ، ويُسهم أيضاً في بيان قدرة المبدع في امتصاص النصوص السابقة وخلق نص جديد من خلالها ، وقدرة المتلقّي على فكّ شفرات النص وبيان مرجعيته النصية .

وأنّ عدّ التناص الخارجي في القرآن الكريم من قبيل التناسب بين النص والوقائع أو الأحداث سواء كانت سابقة عليه أم متزامنة معه سيوسع دائرة التناص ليكون سمة لكلّ قول ، ولاسيما أنّ لكلّ قول باعثاً من الواقع ، ثم أنّه بعيد كلّ البعد عن ماهية التناص التي تقتضي وجود نصين أو أكثر فيهما تعالق ، يكون الأول منهما نصاً ، والثاني متناصاً معه ، فالتناص تداخل بين نصيّن أو أكثر .

وأنّ في التناص القرآني مع دعوات التوحيد السابقة تصحيحاً لبعض المفاهيم المغلوطة التي شاعت في تلك الدعوات، ونفياً للعقائد الفاسدة والمنحرفة، التي تضمّنتها تلك الكتب ، وتثبيتاً للنص القرآني بتفنيد المزاعم التي حاولت النيل منه والحطّ من قدره .

الهوامش

---

(١) ينظر : آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، مجموعة مؤلفين ، تر : محمد خير البقاعي : ٣٤ .

(٢) ينظر : في نظرية الأدب ، شكري عزيز الماضي : ١٩٤ .

(٣) ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ١٠٤ .

(٤) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، مادة (ردد) : ٤٧٣/٢ .

(٥) أساس البلاغة ، مادة (ردد) : ٢٢٧ .

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : د. عبد العزيز مطر ، مادة (ردد) : ٩١/٨-٩٣ .

(٧) المعجم الوسيط ، مجموعة مؤلفين ، مادة (ردد) : ٣٣٧ .

(٨) ينظر : النص ، جان ماري سشايفر ، ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النص) إعداد وترجمة : د. منذر عيّاشي : ١٢٠ .
(٩) ينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ ، د. محمّد عبد المطّلب : ١٣٦ .
(١٠) لسان العرب ، مادة (نصص) : ٩٧/٧ .
(١١) تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيديّ ، مادة (نصص) : ١٨٢/١٨.
(١٢) ينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ : ١٣٧ .
(١٣) ينظر : التناص في شعر الرواد ، أحمد ناهم : ١٤ .
(١٤) ينظر : التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف، د. صبحي الفقي، (مجلة علوم اللغة، مج٧، ع٢، ٢٠٠٤): ١٠٢ .
(١٥) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٣ .
(١٦) ينظر : التناصية بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، (مارك أنجينو) ، ضمن (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ٨٠-٨١ .
(١٧) علم النص ، تر : فريد الزاهي : ٢١ .
(١٨) التناصية ، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، (مارك أنجينو) : ٨٢ .
(١٩) نظرية التناصية ، مارك دوبيازي ، تر: عبد الرحيم الرحوتي ، (مجلة علامات ، م٦ ، ج٢١) : ٣١٠ .
(٢٠) النص الغائب ، تجلّيات التناص في الشعر العربي ، محمّد عزّام : ٣٠ .
(٢١) ينظر : علم النص : ٧٨ ، ٧٩ .
(٢٢) المرجع نفسه : ٢١ .
(٢٣) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٦ .
(٢٤) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج ، نهلة فيصل الأحمد : ٧٤ .
(٢٥) ينظر : نظرية النص ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ٥٢-٥٣ .
(٢٦) ينظر : التناص في شعر الرواد : ٢٧ .
(٢٧) تناصيّة الأنساق في الشعر العربي الحديث ، د. محمود جودات : ١٣ .
(٢٨) لذة النص ، تر : فؤاد صفا والحسين سبحان : ٤٠ .
(٢٩) طروس الأدب على الأدب ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ١٦٠ .
(٣٠) ينظر : المرجع نفسه : ١٦١ .
(٣١) ينظر : المرجع نفسه : ١٦٣ ، ١٦٦ ، ومدخل لجامع النص ، تر : عبد الرحمن أيوب : ٩٠-٩١ .
(٣٢) انفتاح النص الروائي : ٩٦-٩٧ .
(٣٣) ينظر : مدخل لجامع النص : ٩٠ .
(٣٤) انفتاح النص الروائي : ٩٢-٩٣ .
(٣٥) ينظر : المرجع نفسه : ٩٩-١٠٠ .
(٣٦) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .
(٣٧) المرجع نفسه : ٤٩١ .
(٣٨) مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ٢٣٣ .
(٣٩) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٧٤ .
(٤٠) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٦ .
(٤١) ينظر : المرجع نفسه : ٤١٢ .
(٤٢) ينظر : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : ٢٢٦ .
(٤٣) نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٧٦ .

(٤٤) ينظر : التناص ملحوظات لغوية حول مفهوم للنص خاص بالأدب ، (أنجليكا لينكه ، ماركوس نوسباومر) ، ضمن (علم لغة النص نحو آفاق جديدة) : ٨٤ .

(٤٥) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج : ٩٢ .

(٤٦) ينظر : المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة : ٣٠٠ .

(٤٧) ينظر : التناص ملحوظات لغوية حول مفهوم للنص خاص بالأدب : ٨٣ .

(٤٨) ينظر : التناصية ، (ليون سمفيل) ، ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) : ١٢٤ .

(٤٩) ينظر : المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك : ٣٢٢ .

(٥٠) ينظر : المرجع نفسه : ٣١٦ .

(٥١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٥٢) النص الغائب : ٢٩ .

(٥٣) ينظر : انفتاح النص الروائي : ١٠٤ .

(٥٤) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٢١ .

(٥٥) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ : ١٥٣ .

(٥٦) أطياف الوجه الواحد ، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق ، د. نعيم اليافي : ٨٣ .

(٥٧) ينظر : في نظرية الأدب : ١٩٩ .

(٥٨) النص الغائب : ٣٠ .

(٥٩) نظرية التناص وخصوصية النص القرآني ، د. علي يحيى نصر ، (مجلة العلوم العربية ، ع ٢٧ ، ٢٠١٣) : ١٩٩ .

(٦٠) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٧٤ .

(٦١) ينظر : انفتاح النص الروائي : ٩١ .

(٦٢) ينظر : الترجمة وعلوم النص : ١٦٣ .

(٦٣) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ١٠٤ .

(٦٤) ينظر : تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص : ١٣٤-١٣٥ .

(٦٥) ينظر : التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر ، (مجلة فصول ، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٧) : ١٣٣ .

(٦٦) ينظر : التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف : ١٢٠-١٢١ .

(٦٧) النص من تهافت القراءة إلى أفق التدبّر ، د. قطب الريسوني : ٢٧١ .

(٦٨) نظرية التناص وخصوصية النص القرآني : ٢٠٦ .

(٦٩) ينظر : النص ، السلطة ، الحقيقة : ١٠٠-١٠١ .

(٧٠) المرجع نفسه : ١٠١ .

(٧١) ينظر : النص ، السلطة ، الحقيقة : ١٠٤-١٠٥ .

(٧٢) المرجع نفسه : ٩٥ .

(٧٣) التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف : ٩٢ .

(٧٤) التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف : ١٠٩ .

(٧٥) ينظر : انفتاح النص الروائي : ١٠٠ .

(٧٦) ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٢٤ ، وديناميةالنص : ١٠٣ .

(٧٧) نظرية التناص وخصوصية النص القرآني : ٢٠٣ .

(٧٨) ينظر : أسس الحوار في القرآن الكريم ، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية ، هيربرت بوسه ، تر : أحمد محمود هويدي : ١٤ .

(٧٩) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، تر : الشيخ حسن خالد : ١٥٧-١٥٨ .

(٨٠) ينظر : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون : ٤٠-٤١ .
(٨١) النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي ، وجيه قانصو : ٤٠٦ .
(٨٢) الكتاب المقدس أنا الألف والياء ، العهد الجديد ، إنجيل لوقا ١/٧-٢٢ : ١٨٧-١٨٨ .
(٨٣) ينظر : نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٩ .
(٨٤) النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي : ٤١٢ .
(٨٥) ينظر : في نظرية الأدب : ٢٠١ .
(٨٦) الكتاب المقدّس أنا الألف والياء ، العهد الجديد ، إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٨ : ١٨٨-١٩٠ .
(٨٧) ينظر : علم النص : ٧٩ .
(٨٨) ينظر : نظرية علم النص : ١٩٧ .
(٨٩) التحرير والتنوير : ٣/١٤٤-١٤٥ .
(٩٠) المصدر نفسه : ١٦/٥٨ .
(٩١) ينظر : النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي : ٤٠٥-٤٠٦ .
(٩٢) العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم : ١٥٥ .
(٩٣) في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات : ٢١٨ .
(٩٤) اجتهادات لغوية : ٣١٦ .
(٩٥) العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم : ١٥٥ .
(٩٦) ينظر : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٨٣ .
(٩٧) المرجع نفسه : ٨٤ .
(٩٨) حول بويطيقا العمل المفتوح ، سيزا قاسم ، (مجلة فصول ، مج ٤ ، ع ٢ ، ١٩٨٤) : ٢٣٧ .
(٩٩) ينظر : المرجع نفسه : ٢٣٧ .
(١٠٠) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤/٧ .
(١٠١) ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٢/٤٣٧ .
(١٠٢) ينظر : في ظلال القرآن : ١٤/٢١٢٣ .
(١٠٣) ينظر : النص الغائب : ٥٥ .
(١٠٤) ينظر : في نظرية الأدب : ٢٠١ .
(١٠٥) ينظر : لسانيات الاختلاف : ٤٥٥ .
(١٠٦) ينظر : علم النص ، كريستيفيا : ٧٩ .
(١٠٧) ينظر : نظرية النص ، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٥٨ .
(١٠٨) ينظر : التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج : ٢٥٣-٢٥٤ .
(١٠٩) ينظر : العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم : ٢٧٩ .
(١١٠) ينظر : قصص القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس : ٨١ .
(١١١) التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٢/٢٩١ .
(١١٢) ينظر : التناصية ، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، (مارك أنجينو) : ٧٨ .
(١١٣) ينظر : التناصية ، (ليون سمفيل) : ١٢٤-١٢٥ .
(١١٤) ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : ١٣٠ .
(١١٥) ينظر : لسانيات الاختلاف : ٤٧٢-٤٧٣ .
(١١٦) ينظر : التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره : ١٣٩ .

المصادر والمراجع

الكتب :

- آفاق التناصية المفهوم والمنظور، مجموعة مؤلفين ، تر: محمد خير البقاعي، ط١ ، جداول للنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠١٣م .
- اجتهادات لغوية ، د. تمام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م.
- أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) ، (د.ط) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- أسس الحوار في القرآن الكريم ، دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية ، هيربرت بوسه ، تر : أحمد محمود هويدي ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- أطياف الوجه الواحد ، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق ، د. نعيم اليافي ، ط١ ، منشورات اتّحاد الكتاب العرب ، دمشق .
- انفتاح النص الروائي (النص والسياق) ، د. سعيد يقطين ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠١م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ج (٨) ، ط٢ ، تح : د. عبد العزيز مطر ، مراجعة : عبد الستار أحمد فرّاج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٩٤م . ج (١٨) ، ط١، تح: عبد الكريم العزباويّ ، مراجعة : عبد الستار أحمد فرّاج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٧٩م .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمّد مفتاح ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م .
- الترجمة وعلوم النص، ألبرت نيوبرت، غريغوري شريف، تر: د. محيي الدين حميدي ، ط٢، مطبعة جامعة سعود ، ٢٠٠٨م.
- التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج ، نهلة فيصل الأحمد ، ط١ ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د. محمود البستاني ، ط١ ، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدّسة ، ١٤٢٢هـ .
- التناص في شعر الرواد ، أحمد ناهم ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٤م .
- تناصيّة الأنساق في الشعر العربي الحديث ، د. محمود جودات ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠١١م .
- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، (موريس بوكاي)، تر : الشيخ حسن خالد ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٠م .
- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، د. أحمد عزّت يونس ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- العلاماتية وعلم النص ، إعداد وترجمة : د. منذر عياشي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٤م .
- علم لغة النص نحو آفاق جديدة ، مجموعة مقالات ، تر : د. سعيد بحيري ، ط١ ، مكتبة زهراء الشرق ، مصر ، ٢٠٠٧م .
- علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د. عزّة شبل ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- علم النص ، جوليا كريستيفيا ، تر : فريد الزاهي ، ط٢ ، دار توبقال للنشر ، ١٩٩٧م .
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد مصلوح ، ط١ ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ، ٢٠٠٣م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط٣٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- في نظرية الأدب ، د. شكري عزيز الماضي ، ط١ ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، ط٢ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- قصص القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس ، ط٣ ، دار النفائس ، الأردن ، ٢٠١٠م .
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ ، د. محمّد عبد المطّلب ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العامة للنشر، لونجمان ، ١٩٩٥م .
- الكتاب المقدّس أنا الألف والياء ، ط٣ ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤م .
- لذة النص ، رولان بارت ، تر : فؤاد صفا والحسين سبحان ، ط١ ، دار توبقال للنشر، المغرب ، ١٩٨٨م .

- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، (د.ط)، دار صادر، بيروت ، (د.ت) .
- لسانيات الاختلاف ، د. محمّد فكري الجزّار ، ط١ ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، ط١ ، مطبعة دار الكاتب ، ١٩٩٢م .
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، تر: عبد الرحمن أيوب، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، دار توبقال، المغرب ، (د.ت) .
- المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، العدد /٢٣٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨م .
- المعجم الوسيط ، مجموعة مؤلّفين، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م .
- نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقّي ، د. وجيه قانصو ، ط١ ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠١١م .
- النص ، السلطة ، الحقيقة ، د. نصر حامد أبو زيد ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٥م .
- النص الغائب ، تجلّيات التناص في الشعر العربي ، محمّد عزّام ، ط١ ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .
- النص من تهافت القراءة إلى أفق التدبّر (مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبّر القرآني) ، د. قطب الريسوني ، ط١ ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ٢٠١٠م .
- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، تر : د. تمّام حسّان ، ط١ ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٨م .
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

ثانياً : الدوريات والبحوث :

- التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف، د. صبحي إبراهيم الفقي، (مجلة علوم اللغة ، مج٧ ، ع٢ ، ٢٠٠٤) .
- التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره ، شربل داغر ، (مجلة فصول ، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٧) .
- حول بويطيقا العمل المفتوح ، سيزا قاسم، (مجلة فصول، مج٤ ، ع٢ ، ١٩٨٤) .
- نظرية التناص وخصوصية النص القرآني، دراسة في الإجراءات النقدية وإشكاليات التلقّي ، د. علي يحيى نصر ، (مجلة العلوم العربية ، ع٢٧ ، ٢٠١٣) .
- نظرية التناصية ، مارك دوبيازي ، تر: عبد الرحيم الرحوتي ، (مجلة علامات ، م٦ ، ج٢١) .

Abstract

Critics and text-language researchers have been greatly interested in the term Intertextuality. This is due to the hypothesis of texts'-domination upon each other and the fact that there is no text without intertextuality. This means the subjugation of a text to the authority of other texts. After all, intertextuality is a process of producing former and later text's interactions and fusions. This production has urged many scholars to concentrate and focus on elaborating intertextuality instead of textuality in modern lingual studies.

In text – linguistics, intertextuality represents an important criterion that dominates and controls the textuality of the text. Through intertextuality, the text can be deconstructed to analyze, represent, and apprehend its relation to similar texts. These processes lead to absorb and transform similar texts to be part and parcel of text's construction and manifestation.

In the Quranic discourse, intertextuality falls into two types: Exterior and Interior. Exterior intertextuality means intertextuality between some of the holy verses in Quran and verses of former heavenly texts. Whereas Interior intertextuality refers to the relation among the Quranic holy verses. It is very often that any Quranic text or verse recalls another text or a verse from the same surah or sometimes from a different surah(s).